المحاضرة الرابعة

الصحف الإستعمارية

أولا–تأثير الصحافة الفرنسية الاستعمارية:

كان للصحافة الأوروبية لسان حال المعمرين الأثر البالغ لا شك في توجيه الجزائريين على الميدان الصحفي، إذ حرصت الحكومة الفرنسية منذ أن وطأة قدماها أرض الجزائر أن تضيع إلى جانب أسلحتها الفتاكة سلاح آخر تمثل في رجال الثقافية والإعلام والصحافة وكانت أول جريدة قامت بإصدارها هي "L'éstafette de sidi ferradj"، التي أعدت داخل البواخر الاستعمارية التي غزت الجزائر سنة 1830 ومعناها باللغة العربية الساعي الجزائري صدر العدد الأول منها بتاريخ الفاتح من جويلية 1830م وجاء في حجم صغير وفق العنوان شعار للجيش الفرنسي يحتوي على مجموعة من الرايات المعلقة فوق رماح مرشوقة في تاج، وتم إخبار الناس بها تحت عنوان بريد الجزائر، وكان من أهدافها إعلام فرنسا وأعمدتها بجميع انتصارات الجيوش الفرنسية، وبعد ما انتهت صحيفة بريد الجزائر أصدرت السلطات الاستعمارية" النشرات العامة" أو ما يعرف بالمعلقات العامة التي كانت تعلن من خلالها تعليماتها وقراراتها للشعب الجزائري.

كما أصدرت أيضا بتاريخ 27 جوان 1832م جريدة المرشد الجزائري" الهادفة إلى نشر قرارات القيادة العامة بمقاطعات الجزائر، وهران وعنابة حيث استمرت في الصدور لأكثر من 50 سنة خدمت فيها الاستعمار الفرنسي وقامت بتشويش الرأي العام الجزائري.

كما أصدرت صحيفة ثالثة تحت اسم "النشرة الرسمية لعقود الحكومة" بتاريخ 20 نوفمبر 1834، ثم تغير إسمها إلى "النشرة الرسمية للجزائر ومستعمراتها" وذلك غنى غاية 1861.

وأمام هذه الظروف وجد الفرنسيون أنفسهم مضطرين إلى إيجاد وسيلة تخاطب بينهم وبين الجزائريين الذين لا يفهمون لغة المستعمر، وهذه الوسيلة هي تأسيس جريدة باللغة العربية يتوجهون فيها لهم بإعلاناتهم وقوانينهم، وكانت تلك الجريدة هي جريدة "المبشر" الصادرة عن الولاية العامة بتاريخ 15 سبتمبر 1847م باللغة العربية المكسرة، إلى جانب اللغة الفرنسية وذلك ليس محبة في الجزائريين ولا تقديراً لهم ولكن كونها اللغة الوحيدة التي كان يفهمها الشعب الجزائري، كانت تصدر مرتين في الشهر بحجم

صغير في ثلاث صفحات وفي كل صفحة أربعة أعمدة ومن حيث قدمها تعتبر الجريدة العربية الثالثة في العالم.

إن الغاية من إصدار جريدة "المبشر" الأهداف استعمارية بحتة وذلك حتى يتمكن الجزائريون الذين لا يفهمون سوى اللغة العربية من الإطلاع عبر صفحات على قوانين والتعاليم التي تصدرها السلطة الاستعمارية وإضعاف روح المقاومة الشعبية لدى الجزائريين.

ومع هذا الازدهار النسبي بلغ عدد الصحف بالجزائر ما يربو عن 150 صحيفة. وبمرور الوقت وتطور الصحافة في العالم، كانت الساحة في الجزائر تساير هي الأخرى هذه الوتيرة ولم يقتصر انتشار الصحافة على الجهات الرسمية فقط، فظهرت الصحافة الاستعمارية عام 1874، ثم صحافة أحباب الأهالي في عام 1893م، وهي صحافة العمرين ومن بين هذه الجرائد جريدة المنتخب 1852، الأخبار، منبر الأهالي وغيرها.

وأخيرا الصحافة الأهلية والتي بدأت بالصدور عام 1893 حيث كان الجزائريون يساهمون فيها من ناحية التسيير الإداري والتوزيع، ويتعلق موضوعها بقضايا إسلامية جزائرية، وشؤونهم العامة في علاقتهم بالفرنسيين.

كما صدرت بالجزائر العاصمة سنة 1899 جريدة "النصيح" لمؤسسها "ادوارد غزان" وهو موظف بالولاية العامة كان يشتغل بالتأليف ومن مؤلفاته قاموس فرنسي باللغة الدارجة كانت هذه الجريدة تحتوي على أخبار مزيفة عن بعض الحوادث عربي المحلية وذلك خدمة للاستعمار الفرنسي وتضليل القراء المسلمين.

ومع الوقت بدأت نخبة من أبناء الجزائر الاحتكاك بالصحافة الاستعمارية خاصة أنهم كانوا على ثقافة عالية، ونعمل من بينهم أحمد" بوضربة" الذي كان تاجراً وقنصلا للداي في مدينة مرسينيا بفرنسا وكانت له دراية بأمور السياسة.

كما نجد كذلك حمدان خوجة الذي كان ذا ثقافة عربية وفرنسية عالية والاطلاع على أمور الدولة والسياسة، كما أتقن عدة لغات كالإنجليزية والتركية، واشتغل مناصب قريبة من الداي حسين، من مؤلفاته كتاب المرأة وكتاب إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء".

ومن هنا يمكن القول أن الصحف الفرنسية التي صدرت بالجزائر كانت من بين أهم العوامل التي فتحت باب الصحافة أمام الجزائريين ونبهتهم عن مدى خطورة هذا السلاح، وطرحت في أنفسهم التساؤل

عن الدور الفعال الذي يمكن أن تقوم به في مجال الإعلام، ولا سيما أنهم رأوا تلك الأعداد الهائلة لصحف الفرنسية الصادرة بالجزائر منذ بداية الاحتلال، فقد قام الاستعمار بحركة صحفية واسعة غطت شرق البلاد وغربها، حيث أصدروا في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ما يزيد عن مائة دورية أسبوعية .

ثانيا– تأثير الصحافة المشرقية:

رغم كل العراقيل والإجراءات التعسفية الجائرة من طرف السلطات الاستعمارية المتمثلة في منع الجزائريين من الاتصال بالمشارقة، وتجلى ذلك من خلال منعهم من الذهاب إلى المشرق العربي وزيارة البقاع المقدسة، ومراقبة دخول الحرف العربية والكتب القادمة من المشرق العربي، إلا أن ذلك لم يمنع الجزائريين من الاطلاع على الصحف بوسائلهم الخاصة، وكانوا يتابعون تطور النهضة العربية بشغف من خلال الصحف مثل جريدة المنار. ولم تكن الصحف الصادرة إلى الجزائر من طرف العالم العربي فقط، بل تعد ذلك مثل" البيان"(نيويورك)، و"القلم الحديدي سان باول"(البرازيل).

إضافة إلى صحيفة" الأمة "العربية"، وقد كان للجامعة الإسلامية دورا هاما في الهجرة الجزائرية، فالرسائل التي كانت ترسل من طرف المهاجرين إلى أهلهم في الجزائر، والتي تبرز الحرية والأخوة في المشرق إلى جانب ذلك شجعت سياسة الاضطهاد الفرنسي بالذهاب إلى الخارج من أجل حياة أفضل.

اتسمت الصحف الفرنسية الصادرة في الجزائر بالكثرة والتنوع في الاختصاصات وقد بلغت 30 جريدة عام 1871م، 28 جريدة عام 1883م، 50 جريدة عام 1886م و92 جريدة عام 1890م. ويمكن تقسيم الصحف الفرنسية إلى نوعين أساسيين: صحافة حكومية (رسمية) وصحافة أحباب الأهالي (غير رسمية) وهذا عرض مختصر لأهم الصحف الفرنسية.

–بريد الجزائر(l'estafette de sidi ferruch) 1830م: صدر العدد الأول منها في أول جوان بشاطئ سيدي فرج، كانت مهمتها تقديم معلومات عن الحملة الفرنسية في الجزائر.

– المرشد الجزائري: (le moniteur Algérien) 27 جانفي 1832م بادرت سلطات الاحتلال بإصدار أسبوعية المرشد في مقاطعة الجزائر العاصمة، وكانت تصدر باللغتين (العربية والفرنسية توقفت عن الصدور سنة 1871م.

–النشرة الرسمية لعقود الحكومة 1834م : بدأت في الصدور في أكتوبر ثالث وهي صحيفة استعمارية في الجزائر، أسبوعية مقسمة إلى ثلاث أجزاء، جزء مخصص للقوانين والقرارات وجزء للمراسيم والنصوص المختلفة وجزء للنصوص العربية.

–الأخبار: صدرت في 12 جويلية 1839م باللغة الفرنسية، وفي سنة 1903 خصصت جزءا منها باللغة العربية، أشرف عليه عمر بن قدور، توقفت الجريدة سنة 1938م.

–المبشر: 1847م صدرت باللغتين العربية والفرنسية بولاية الجزائر، أمر بتأسيسها الملك (فيليب) ملك فرنسا لتكون لسان حكومته كانت تنشر القوانين والتعاليم الصادرة من الولاية العامة، توقفت الجريدة عن الصدور رسميا في سنة 1926م.

–الجزائري: صدرت في 25 أفريل 1852م أنشأها مدير الشؤون الأهلية لوسياني (luciani) باللغة العربية من أجل تمويه وتضليل الجزائريين وصرفهم نحو التوجه للجرائد المشرقية، وقد فشلت ولم يصدر منها إلا أعدادا قليلة.

–المغرب 1903م: صدرت في 10 أفريل بالجزائر، وكانت تصدر يومي والجمعة وهي من أوائل الصحف العربية التي فتحت باب المشاركة في تنوير الرأي الجزائري، واهتمت الجريدة بالجانب الديني والاجتماعي بغية التأثير في المسلمين وكانت منحازة إلى جانب الحكومة الفرنسية.

–جريدة المنتخب 1882: ظهرت في قسنطينة بتاريخ 28 أفريل 1882 وهي مؤشر تحرك ضعيف للصحافة الفرنسية انتهت بعد العدد 40.

النصيح 1988م: صدرت بالجزائر من طرف مستعرف فرنسي من أصول يهودية ولم تعمر سوى اشهر قليلة ن وهي اول صحيفة تصدر بالعربية.

–برقية قسنطينة (la dépêche de Constantine): جريدة يومية تأسست بقسنطينة، صدر العدد الأول منها في 15 نوفمبر 1908م، ولم تتوقف حتى في أصعب الظروف كالحربين العالميتين، وهي سياسة هدفها خدمة مصالح المعمرين والدفاع عن شعار " الجزائر الفرنسية " وكانت تصدر باللغة الفرنسية فقط ، توقفت سنة 1963م.

– صحافة أحباب الأهالي: ومن أبرز الصحف التي مثلت هذا الاتجاه:

– الهلال 1906م: ظهرت في العاصمة في شهر أكتوبر، رئيس تحريرها هو فالبيلار (Valpillerre) وهي مزدوجة اللغة، شعارها "صحيفة مطالب الأهالي الشرعية"، وكان أغلب الكتاب المحررين باللغة الفرنسية معروفين بنزعاتهم المعتدلة ومواقفهم من القضايا الأهلية، توقفت عن الصدور سنة 1907م.

– الجزائر الجمهورية 1937م: يومية أنشأها الحزب الاشتراكي الفرنسي، كانت تنشر أخبارا تتعلق بالمسلمين وتشوه الوجود الفرنسي، وبعد 1945 دخلت بعض الشخصيات المسلمة في إدارتها، وفي 1956م بدأت تعبر عن تعاطفها مع الثوار فوقفتها السلطات الاستعمارية.

المصادر والمراجع المعتمدة:

-أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان 2008 م.

-هلال ناتوت، الصحافة نشأة وتطورا، دار الكتب الجامعية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2006 م.

-فاروق أبوزيد، مدخل إلى علم الصحافة، عالم الكتب القاهرة مصر، ط1، 1986م.

-محمد فريد محمود عزت، مدخل على الصحافة، مكتب احمد فؤاد للكمبيوتر، القاهرة مصر، (د،ط)، 1993 م.

- طلعت همام، مئة سؤال عن الصحافة، ط2، دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان الأردن، 1988م.

-عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط2، 1985م.

-تيسير أبو عرجة، دراسات في الصحافة المكتوبة، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2000 م.

-صادق بلحاج، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي بين سنة 1919م-1939م دراسة مقارنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2011-2012م.

-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (د،ط)، 2012.

-أبو القاسم سعد الله، التاريخ الثقافي للجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998م.

-محمد الصالح أيت علجت، صحف التصوف الجزائرية من 1838 هـ إلى 1373 هـ 1920م إلى 1955 م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، (د.ط)، 2001م.

-الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، رواد الصحافة الجزائرية، مطابع دار الشعب بالقاهرة، القاهرة-مصر، ط1، 1981م.